الفصل الخامس

خوفو والهريم الذهبي

الفصل الخامس 7

تحدثنا من قبل عما كتب حول قصة بناء الأهرام وكيفية نقل الأحجار وعن النظام الإدارى الذى أدار ونظم العمل فى بناء الأهرام خاصة أهرام الجيزة، كما تحدثنا عن تلك الأساطير والحكايات المرتبطة بالهرم الأكبر هرم الملك "خوفو"والممرات السرية بداخله، وسنتناول البعض الآخر من الجوانب التى تتعلق بأهم الاكتشافات الجديدة التى حدثت فى السنوات الأخيرة وترتبط ببناء الهرم وعناصره المعمارية ووظيفة كل عنصر معمارى خاصة تلك التى تم كشفها لأول مرة بجوار هرم الملك "خوفو".

وقد سألنى أحد المقيمين بالولايات المتحدة الأمريكية عن موضوع قمة هرم "خوفو"، بصفتى أحد المتخصصين فى أهرام مصر، والحقيقة أن موضوع قمة هرم "خوفو" من الموضوعات الشيقة والشائكة فى نفس الوقت ويطرح العديد من التساؤلات: هل تم بناء هرم "خوفو" أساساً بدون قمة؟ وإذا كانت الإجابة بنعم: فلماذا؟ وإذا كانت الإجابة لا: فما هى مادة هذه القمة ؟ هل هى من ذهب، من جرانيت، أو من حجر جيرى أم خلافه؟ وما هو مصير هذه القمة؟

نعلم أن هرم "خوفو" فقد من قمته حوالى تسعة أمتار، ويرجع ذلك إلى أن بعض المصريين القدماء، قد انتزعوا عدداً من أحجار قمة هذا الهرم منذ عصر الاضمحلال الأول. وعندما جاء الملك "أمنمحات الأول" – مؤسس الأسرة الثانية عشرة ١٩٩١ ق.م – بدأ فى بناء هرمه بمنطقة اللشت. وقد عثر داخل هذا الهرم وبين أحجاره على العديد من الأحجار الجيرية التى يوجد عليها اسم الملك "خوفو". وأكد هذا لنا أن عمال هرم الملك "أمنمحات الأول" قد نقلوا هذه الأحجار إلى اللشت. كما عثر أيضاً على أحجار أخرى تحمل اسم "خوفو" بالقاهرة القديمة مما يدل على استمرار سقوط أحجار الهرم على مر العصور ونقلها إلى أماكن أخرى لإعادة استعمالها.

وليس لدينا دليل أثرى أو لغوى من عهد الملك "خوفو" يؤكد أن قمة الهرم الأكبر كان يعلوها هريم. لكن هناك أدلة شاهدها المؤرخ اليونانى "ديودور الصقلى Diodorus Siculus" منها أن هرم الملك

الفصل الخامس 6

"خوفو" كان يعلوه هريم بارتفاع ٢,٦٦٤ متر، هذا بالإضافة إلى ما ذكره المؤرخ الرومانى "بلينى الأكبر Pliny the Elder" من أنه شاهد الهريم أيضاً فى عام ٣٠ ق.م، ولكنه ذكر أن ارتفاعه يزيد عما ذكره "ديودور الصقلي". وهناك أيضاً حكايات وقصص وأساطير ذكرها الرحالة العرب وتناقلها الناس على مر العصور ومنها ما يروى أن قمة هرم "خوفو" كان يعلوها تمثال من الذهب، وأعتقد أن سبب تخيل وجود هذا التمثال يرجع إلى أن الذهب وشكل الهريم فوق قمة الهرم قد جعلهم يتخيلون أنه تمثال.

وقد كان موضوع "الهريم" مجالاً للجدل وتبادل الاتهامات بين المتخصصين وغير المتخصصين وذلك عندما بدأ التفكير فى نهاية عام ١٩٩٩ م، فى وضع هريم فوق هرم الملك "خوفو" كأحد مراسم دخول مصر الألفية الثالثة، وللأسف الشديد أن بعض غير المتخصصين قد كتبوا وأذاعوا فى وسائل الإعلام أن الأهرام لم يكن يعلوها هريم، بل أشار أحد العلماء إلى أن الهرم الثانى هو خير دليل على ذلك حيث أن قمته كاملة وليس عليها هريم، ولذلك كان من الضرورى توضيح الحقائق العلمية حول موضوع الهريمات، وهل كانت تطلى بالذهب أم لا. وأعلنت وقتها أنه يجب أن نأخذ برأى علماء الآثار أصحاب المكانة العلمية الرفيعة أمثال الدكتور على رضوان صاحب الكتب والمقالات العلمية المتعددة.

وفى البداية من المفيد أن نعرف أصل الهريم ووظيفته ومدلوله فى الفكر المصرى القديم، فلقد جاء فى مذهب الخلق "خلق الكون" الخاص بمدينة "أون" (عين شمس الحالية) أن الإله "آتوم" قد ظهر على التل الأزلى الذى أطلق عليه "بن بن" واتخذ شكل الهرم مدبب القمة وعليه طائر "الفونكس" الذى يرمز لـ "رع" كناية عن بداية الخليقة. وقد جاء فى النصوص المدونة داخل الأهرام المعروفة باسم "متون الأهرام" ما يلي: "أى آتوم عندما جئت إلى الوجود، خرجت فى صورة تل عالى وأشرقت فى هيئة حجر (بن بن) فى معبد العنقاء فى أون".

ومن هذا المذهب نشأت فكرة الشكل الهرمى الذى أصبح شكل المقبرة الملكية التى يدفن فيها الملك وارتبطت بالديانة الشمسية وموطنها مدينة "أون"، وصار هذا الشكل الهرمى بمثابة السلم الذى يصعده الملك المتوفى للوصول إلى مركب إله الشمس "رع" التى تسبح فى نهر السماء، وبذلك يستطيع الملك أن يتحد مع إله الشمس فى مركبه، ووفقاً لهذا المذهب فقد أتخذ الهرم شكله من حجر الـ "بن بن" أو الهريم الصغير الذى كان يوضع فوق الهرم، وهكذا نرى مدى أهمية الشكل الهرمى فى العقيدة

المصرية القديمة فهو موضع الإله ووسيلة وصول الملك للاتحاد معه، وقد وجد اسم الملك "منكاورع" مدوناً فوق شكل الهريم.

كما عثر على العديد من الهريمات حول أهرام ملوك وملكات الدولة القديمة. والهريم هو ذلك الهرم الصغير الذى يتم وضعه فى نهاية البناء ليصبح قمة الهرم وبذلك فهو يمثل نهاية الهرم وآخر حجر يوضع عليه، وبوضعه يكون بناء الهرم قد اكتمل وهى مناسبة لم يكن المصرى القديم يدعها دون احتفالات مهيبة فى طول البلاد وعرضها.

وأقدم هريم عثر عليه إلى الآن فى منطقة دهشور عام ١٩٨٢م، وكشفه الصديق "راينر شتادلمان" عالم الآثار الألمانى والمتخصص فى عصر الأهرام. وقد عثر على هذا الهريم فى الناحية الشرقية لهرم الملك "سنفرو" الشمالى المعروف باسم "الهرم الأحمر"، ولم يتم العثور على أيه أدلة تشير إلى أنه كان مغطى بالذهب. وقد عثر على هذا الهريم محطماً تماماً، عبارة عن قطع من الأحجار المتناثرة واستطاعت البعثة الألمانية ترميمه واستكمال زواياه وتم وضعه على قاعدة فى الجانب الشرقى للهرم. أما ثانى أقدم هريم فهو الذى عثرت عليه أثناء حفائرى بشرق هرم "خوفو" والتى أدت إلى الكشف عن هرم جانبى يعرف بـ "الهرم العقائدي" للملك "خوفو" وحول هذا الهرم عثر على الهريم الخاص به ويعتبر أقدم هريم كامل الزوايا يعثر عليه إلى الآن. فكما سبق وذكرنا فإن هريم دهشور عثر عليه محطماً، كما تم العثور أيضاً على معظم أحجار قاعدة هذا الهريم الذى تم إعادة تركيبه فى الناحية الشرقية من هرم "خوفو" إلى الشمال من مدخل الهرم العقائدي.

والهرم العقائدى هو هرم جانبى صغير غالباً ما يكون موضعه إلى جنوب هرم الملك مع وجود بعض الاستثناءات كهرم الملك "خوفو" العقائدى الذى عثرنا عليه فى الناحية الشرقية، وهذا الهرم الصغير يرتبط بعقيدة الملك حيث يعتقد أن الملك كان يستعمله بطريقة رمزية لتغيير الملابس التى سوف يرتديها كى يقدم رقصة عرفت باسم رقصة "عيد السد".

أما بخصوص الهرم الثانى هرم الملك "خفرع" والذى يعتقد البعض، متخصصين وغير متخصصين، أنه لم يكن له هريم يعلو قمته - حسب ما يعتقدون - لوجود بقايا للكساء العلوى للقمة

الفصل الخامس 6

من الحجر الجيرى الأصلى الذى جلبه المصرى القديم من طره. وقد قرأت هذه الآراء الخاطئة فى الصحف أثناء المناظرات والمجادلات التى تمت عندما تقرر عمل هريم صغير لمحاكاة التقليد الفرعونى بمناسبة الاحتفالات بالألفية الثالثة. ولا يعلم هؤلاء أن قمة الهرم الثانى ليست مكتملة الآن، ويمكن التحقق من ذلك من الصور الجوية لمنطقة الأهرام فهو الآن ذو قمة مسطحة وليست مدببة مما يثبت أنه كان هناك هريم على القمة. وقمت برسم هذا السطح بعد الزلزال الكبير الذى حدث عام ١٩٩٢م، حيث قامت مجموعة من الإيطاليين بتسلق الهرم لتسجيل الشروخ السطحية التى أحدثها الزلزال.

وقد عثر عالم المصريات الراحل "سليم حسن" على قطعتين من حجر الديوريت، قام بدراستهما عالم الآثار المصرى نبيل سويلم - المتخصص فى عصر الأهرام وله مقالات مهمة فى هذا العصر - وأكد من خلال دراسته أن ما عثر عليه من أحجار كان جزءاً من الهريم الذى كان يعلو الهرم الثاني، بل يشير سويلم إلى أن هذا الهريم كان مكسواً بالذهب وقدم رسماً له. وقد عثر أيضاً على الجزء السفلى لهريم بجوار الأهرام الجانبية لهرم الملك "منكاورع" بالجيزة.

ومن الأسرة الخامسة لدينا منظر يظهر الملك "جد كارع إسيسي" من الأسرة الخامسة واقفاً ممسكاً عصاه وأمامه نص يشير إلى أنه كان على قمة هرمه هريم. وقد عثر الأثرى التشيكى "ميرسولاف فيرنر- Mirsolave Verner" على هريم مصنوع من الجرانيت الأسود بجوار هرم الملك "نفر إف رع" من الأسرة الخامسة فى منطقة أبو صير. وقد عثرنا بحفائرنا بمنطقة سقارة بجوار هرم الملكة "إيبوت" زوجة الملك تتى أول ملوك الأسرة السادسة على أربعة هريمات، الأول عثر عليه من قبل عام ١٩٣٠م. والثلاثة الباقين عثرنا عليهم حول هرمى الملكتين "خويت" و"إيبوت"، وعلى واحد منها فجوات تؤكد أنها خاصة بتثبيت كسوة من الذهب أو معدن الألكتروم (٢٠٪ فضة والباقى من الذهب الأصفر). وقد عثرت البعثة الفرنسية أيضاً على قطع من الحجر الجيرى خاصة بهريم للملكة "مريت إيت إس" زوجة الملك "ببى الأول" من الأسرة السادسة.

أما عن الدليل اللغوى فقد عثر على العديد من النصوص الهيروغليفية تثبت وجود الهريم بل وتؤكد على أنه كان يطلى بالإلكتروم (الذهب الأبيض). والنص الأول عثر عليه العالم الفرنسى "جيكيه" ويقرأ "هريم من الذهب الأبيض"، وأكد كل علماء اللغة العظام فى العالم أمثال الألمانى "إلمر إيدل" أن النص يعنى أن الهريم كان يطلى بالذهب الأبيض.

والنص الثانى عشرنا عليه فى منطقة أهرام أبو صير عام ١٩٩٠ م، ولهذا الكشف قصة مثيرة فلقد أرسلت لودر هيئة الآثار فى ذلك الوقت إلى منطقة أبوصير وذلك لإزالة الرديم المتبقى من نتاج الحفائر التى قام بها العالم الألمانى "لودفيج بورخارد" فى أوائل القرن الماضي.

وكان العمل يتم تحت إشراف عدد من مفتشى الآثار لمراقبة أعمال التنظيف وأدت المصادفة إلى الكشف عن عدد من الأحجار الضخمة المتساقطة من جدارى الطريق الصاعد للملك "ساحورع" من الأسرة الخامسة وعليها رسومات وكتابات، وكانت المفاجأة وجود منظر يظهر عمالاً يقومون بجر الهريم بحبل، ومنظر آخر لمجموعة من السيدات يطلق عليهن "خنر"، وهن الفرقة الموسيقية الخاصة بالملك. ويوجد نص يقرأ "هريم من الذهب الأبيض". ونص آخر يوضح أن الملك قد أرسل بعثة خاصة إلى الصحراء الغربية للبحث عن حجر يصلح لعمل الهريم، وأثناء البحث قامت مجموعة من البدو بمهاجمة البعثة، وقد تم أسرهم ومحاكمتهم فى قاعة مجاورة للهرم. وهذه المناظر تظهر لأول مرة وظيفة الهريم حيث اتضح أن الهريم هو آخر عنصر معمارى يتم وضعه على قمة الهرم، وكان ذلك بلا شك يتم فى احتفال رسمى كبير حيث يقف الفرعون بين وزرائه وأفراد الشعب ويقوم العمال بجر الهريم ووضعه على قمة الهرم، وقد كان هذا يعنى أن الهرم انتهى بناؤه؛ ولذلك فقد كان الشعب يغنى ويرقص لأن المشروع القومى وهو بناء الهرم قد انتهى تماماً.

ونحن نعرف أن العائلات الكبيرة فى صعيد ودلتا مصر كانت تشارك فى بناء الهرم عن طريق إرسال العمال والمؤن كالقمح والأسماك المجففة للمشاركة فى بناء الهرم، وهو تقليد مازال موجوداً فى الريف المصرى إلى الآن، خاصة عندما يقوم أحد مواطنى القرية ببناء منزله أو فى فرح الأبناء فالكل يساعد ويشارك فى مثل هذه المناسبات. ولذلك أقول دائماً بأن بناء الهرم هو الذى بنى مصر.